



أرنبوب ضيفاً على ثعلوب

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود

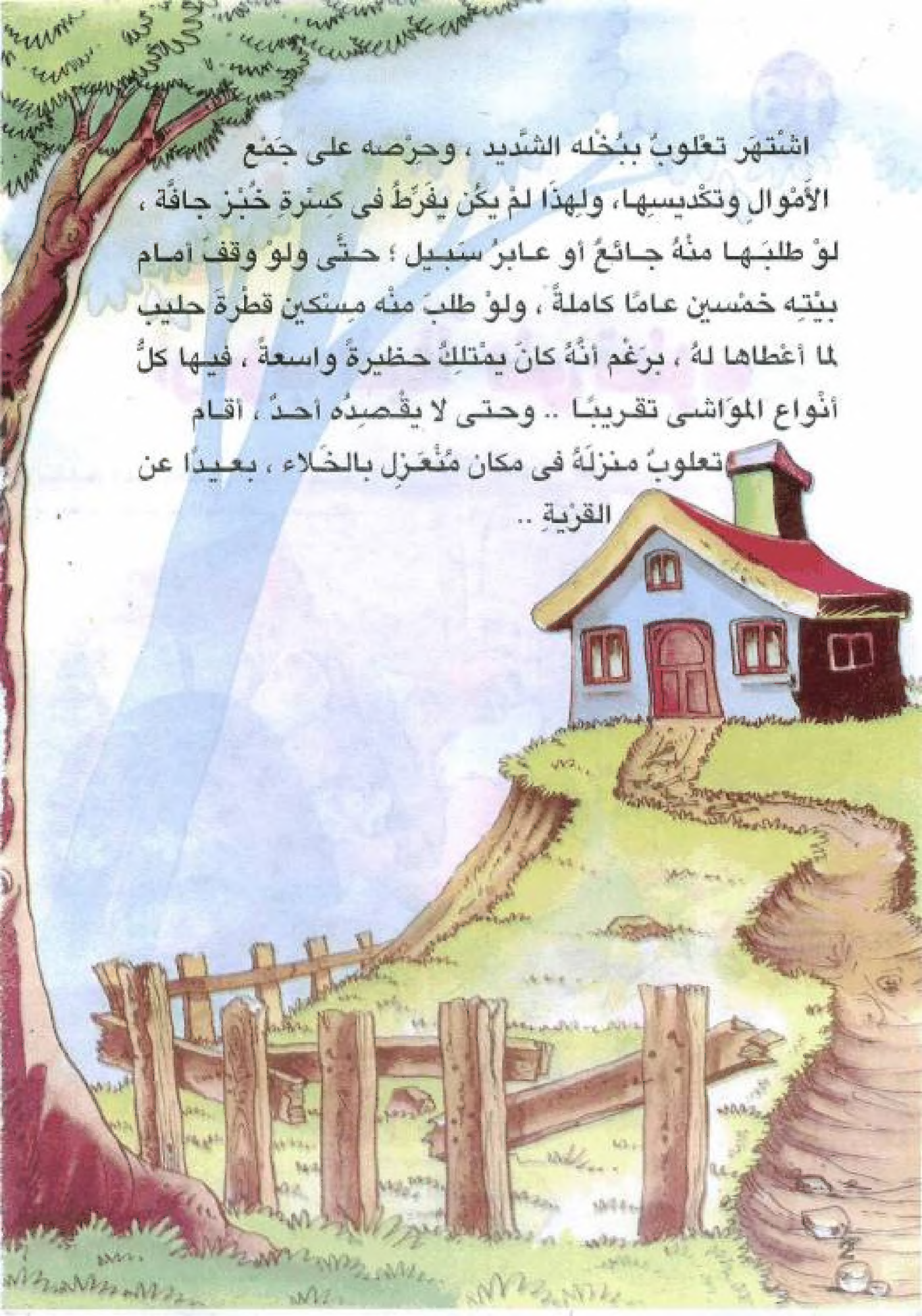
بريشة : عبد الشافي سعيد



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

الطبع والنشر والتوزيع
2007/197 - 2008/198 - 2009/199
2010/200 - 2011/201

اشتهر تعلوب ببخله الشديد ، وحرصه على جمع
الأموال وتكديسها، ولهذا لم يكن يفرط في كسرة خبز جافة ،
لو طلبها منه جائع أو عابر سبيل ؛ حتى ولو وقف أمام
بيته خمسين عاماً كاملة ، ولو طلب منه مسكين قطرة حليب
لما أعطاها له ، برغم أنه كان يمتلك حظيرة واسعة ، فيها كل
أنواع المواشى تقريباً .. وحتى لا يقصده أحد ، أقام
تعلوب منزله في مكان منعزل بالخلاء ، بعيداً عن
القرية ..



وزيادةً في الحرص والاحتياط نثر تغلوبٌ حول منزله
الكثير من أغواد الحطب الجافة ؛ حتى إذا فكر أحدٌ في
زيارته والقُدوم إلى منزله ، كان مُضطرّاً إلى السَّير فوق
تلك الأغواد ، فتُصنرُ خشخشةٌ قويّةٌ ، ويتنبّه تغلوبٌ إلى
قُدوم الغرباء ، فيأخذُ حذره ، ولا يُغافله أحدٌ .. وهكذا
عاش تغلوبٌ مُعظمَ عُمره منعزلاً عن الآخرين ..



وَذَاتَ يَوْمٍ فَكَّرَ أَرْنُوبٌ فِي أَنْ يَنْزِلَ ضَيْفًا عَلَى
تَغْلُوبٍ ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْفِكْرَةُ عِدَّةَ لَيَالٍ ، فَلَمْ
يَسْتَطِعْ أَنْ يَطْرُدَهَا مِنْ رَأْسِهِ ، فَاخَذَ يَفْكُرُ فِي حِيلَةٍ
يُفَاجِئُ بِهَا تَغْلُوبًا ، فَلَا يَطْرُدُهُ مِنْ ضَيْافَتِهِ ، وَفِي
النِّهَايَةِ اهْتَدَى إِلَى فِكْرَةٍ ، فَقَرَّرَ أَنْ يَنْفِذَهَا فِي الْحَالِ ،
فَامْتَطَى ظَهَرَ جَوَارِيهِ ، وَمَضَى قَاصِدًا بَيْتَ تَغْلُوبٍ ،
فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَقَابِلُهُ يَقُولُ لَهُ : إِذَا كُنْتَ قَاصِدًا
بَيْتَ الْبَخِيلِ تَغْلُوبٍ لِمُدَّةِ يَوْمٍ وَاحِدٍ ، فَخُذْ
مَعَكَ طَعَامًا يَكْفِيكَ أَسْبُوعًا ، وَإِلَّا سَتَمُوتُ
مِنْ الْجُوعِ ..

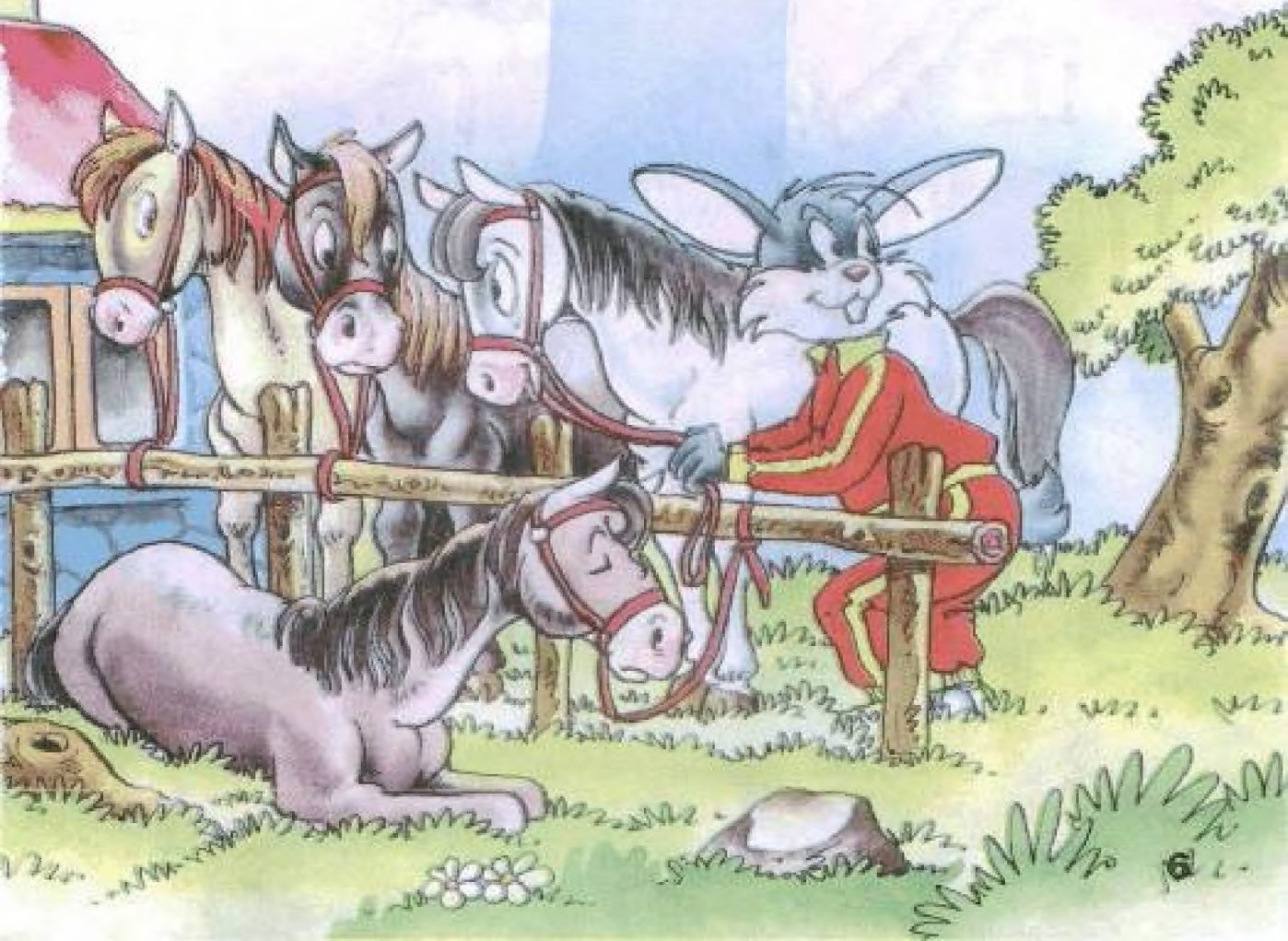


وكان أرنوبُ يضْحِكُ ويردُّ عليهم قائلاً : الأَحْمَقُ
هو وَحْدَهُ الذِي لَا يَرْتَوِي ، عِنْدَمَا يَكُونُ فِي النُّهْرِ ، وَأَنَا
لَسْتُ أَحْمَقُ ؛ حَتَّى أَنْزَلَ ضَيْفًا عَلَى تَغْلُوبِ ، وَأَخَذَ مَعِيَ
طَعَامِي ، سَوْفَ أُرِيكُمْ كَيْفَ أَجْبُرُ تَغْلُوبًا عَلَى ضِيَاغَتِي ،
وَالْأَكْلِ مِنْ أَجْوَدِ طَعَامِهِ ..

وعِنْدَ الْغُرُوبِ تَقْرِيْبًا وَصَلَ أَرْنُوبٌ إِلَى مَنْزِلِ تَغْلُوبِ ،
وَهَنَاكَ رَأَى الدُّخَانَ يَتَصَاعَدُ مِنْ مِدْخَنَةِ الْمَنْزِلِ ، مُحْمِلًا
بِرَائِحَةِ الشَّوَاءِ ، فَعَرَفَ أَنَّ تَغْلُوبًا وَأُسْرَتَهُ يُعِدُّونَ طَعَامَ
الْعِشَاءِ .



ضحك أرنوب قائلاً في نفسه : يبدو أنني جئت في
الوقت المناسب تماماً !..
وقاد أرنوب حصانه بحرص وحذر إلى الحظيرة ،
حيث كانت تقف خيول تغلوب ، وربطه بجوارها..
ثم تسلل في حذر ، وأخذ يجمع أعواد الحطب الجافة ،
عوداً عوداً من أمام المنزل ، حتى شق لنفسه طريقاً بين
الأعواد الجافة ، ووصل إلى الباب ..



وَقَفَ أَرْنُوبٌ يَنْظُرُ مِنْ شَقِّ الْبَابِ إِلَى دَاخِلِ
الْمَنْزِلِ ، فَرَأَى الْمَوْقِدَ مُشْتَعِلًا ، وَفَوْقَهُ قِدْرُ اللَّحْمِ
يَتَصَاعَدُ مِنْهُ الْبُخَارُ ، بَيْنَمَا جَلَسَ تَغْلُوبُ
وَزَوْجَتُهُ وَابْنُهُ وَابْنَتُهُ حَوْلَ الْمَوْقِدِ .. كَانَ تَغْلُوبُ
يَقْطَعُ اللَّحْمَ وَيَضَعُهُ فِي الْقِدْرِ .. وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ
تَعْجِنُ الْفَطَائِرَ ، وَابْنَتُهُ تَنْتِفِ رِيشَ إِوْرَةِ سَمِيْنَةٍ
وَتُنْظِفُهَا ، بَيْنَمَا اشْغَلَ الْإِبْنُ بِشِوَاءِ رَأْسِ خُرُوفٍ
عَلَى النَّارِ ..



وَفَجْأَةً دَفَعَ ارْتُوبُ بَابَ الْمَنْزِلِ بِقُوَّةٍ ، وَقَبَّلَ أَنْ يَفْتَحَ
تَعْلُوبَ وَأَفْرَادُ أُسْرَتِهِ أَفْوَاهُهُمْ مِنَ الدَّهْشَةِ ، كَانَ ارْتُوبُ
يَقِفُ أَمَامَهُمْ مُحْيِيًا بِقَوْلِهِ :

- مَسَاءَ الْخَيْرِ يَا أُسْرَةَ صَدِيقِي الْعَزِيزِ جَدًّا تَعْلُوبُ ..
تَضَائِقُ تَعْلُوبُ كَثِيرًا مِنْ هَذَا الضَّيْفِ ، الَّذِي لَمْ تَخْطُرْ
لَهُ ضِيَافَتُهُ عَلَى بَالٍ ، وَقَالَ فِي غَيْظٍ :
- فَلْيَسْنَقُطْ عَلَيْكَ حَجَرٌ يَشْقُ رَأْسَكَ ..



وَقَبْلَ أَنْ يَرُدَّ ارْتَوِبْ عَلَى تَحِيَّتِهِ بِمِثْلِهَا ، أَصْدَرَ تَغْلُوبَ
إِشَارَةً خَفِيَّةً إِلَى أَفْرَادِ أُسْرَتِهِ ، فَأَخْتَفَتِ الْإِوَزَةُ وَرَأْسُ
الْخُرُوفِ ، وَعَجِيْنَةُ الْفَطَائِرِ ، وَكُلُّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَتْ تُنْدُ
لِلْعِشَاءِ ، وَانْشَغَلَتْ أَيْدِي الْجَمِيعِ بِالْعَمَلِ فِي أَشْيَاءٍ أُخْرَى ،
فَأَخَذَ تَغْلُوبُ يُصْلِحُ لِجَامَ حِصَانِهِ ، وَأَخَذَتْ زَوْجَتُهُ تَغْرِلُ
الصُّوفَ ، وَانْشَغَلَ الْابْنُ بِتَرْقِيعِ حِذَائِهِ ، أَمَّا الْابْنَةُ فَقَدْ
أَخَذَتْ تَكْنِسُ أَرْكَانَ الْمَنْزِلِ ..



ضحك أرنوب من استقبالهم له ، وقال فى نفسه :
- يا كرم الضيافة فى منزلك يا تغلوب !! لن أكون بعد
اليوم أرنوباً العجيب ، إذا جازت على ألعيبك ..
وجلس بجوار الموقد ، فنظر إليه تغلوب غاضباً وقال
له :

- ما انذى جاء بك إلى منزلى يا أرنوب ؟ هل تطمع فى
ضيافتى ، وأنت تعلم أننى رجل فقير جداً ، وليس لدى
ما أتعشى به أنا وعيالى ؟



فَقَالَ أَرْنُوبٌ سَاخِرًا : لَابَأْسُ .. لَابَأْسُ .. مَا جِئْتُ
طَامِعًا فِي طَعَامِكَ يَا صَنَدِيقِي ..
فَانْفَرَجَتْ أَسْنَانِيرُ تَغْلُوبٍ قَلِيلًا وَقَالَ لَهُ :
- مَا دُمْتَ قَدْ جِئْتَ بِلَا دَعْوَةٍ ، فَلَا تَجْلِسْ صَامِتًا هَكَذَا ..
فَقَالَ أَرْنُوبٌ :
- وَمَاذَا أَفْعَلُ إِذَنْ ؟
فَقَالَ تَغْلُوبٌ : حَدِّثْنَا عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ..



فقال أرنبوب : عَمْ أَحَدْتُكَ يَا تَعْلُوبُ !؟ عَمَّا رَأَيْتُهُ ،
أَوْ عَمَّا سَمِعْتُهُ !؟

فقال تعْلُوبُ : أَنَا لَا أَصَدِّقُ الشَّائِعَاتِ يَا صَدِيقِي ..
حَدَّثَنِي عَمَّا رَأَيْتُهُ ..

فقال أرنبوبُ : حَسَنًا .. وَنَهَضَ وَاقِفًا ، وَرَسَمَ فِي عَيْنَيْهِ
الدُّعْرَ ، ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ يَا تَعْلُوبُ ، وَأَنَا اقْتَرَبُ مِنْ مَنْزِلِكَ
تُعْبَانًا طَوِيلًا غَلِيظًا ، وَلَا أَبَالِغُ إِذَا قُلْتُ : إِنَّهُ فِي ضَخَامَةِ
جِسْمِ الْخُرُوفِ الَّذِي وَضَعْتَهُ فِي الْقِدْرِ ..



فَقُلْتُ لِنَفْسِي : كَيْفَ أَحْتَمِي مِنْهُ ؟ فَأَخَذْتُ حَجَرًا
بَحَجَمُ رَأْسِ الْخُرُوفِ الَّذِي كَانَ ابْنُكَ يَسْتَوِيهِ مِنْذُ قَلِيلٍ ،
وَرَحْتُ أَضْرِبُ بِهِ الثُّعْبَانَ اللَّئِيمَ ، حَتَّى هَرَسْنَتْهُ وَعَجَنْتُهُ ،
كَعَجِينِ الْفَطِيرِ الَّذِي كَانَتْ زَوْجَتُكَ تَعْجِنُهُ عِنْدَ دُخُولِي ،
وَإِذَا كُنْتُ كَاذِبًا فَلْتُنْتَفِ فِرْوَتِي ، كَتَلِكَ الْإِوْرَةُ الَّتِي كَانَتْ
ابْنُكَ تَنْتِفُ رِيَشَهَا مِنْذُ قَلِيلٍ ..



وهنا أدرك تغلوب أنه لا شيء يمكن أن يخفى على
أرنوب ، فأخذ يقلب الماء في القدر بالمِغْرِقَةِ ، ويقولُ :
- اغلِ يا قدرُ سنةً أشهرٍ كاملةً ..

وهنا خلع أرنوب حذاءه ، ووضعَه في ركنِ المنزل
قائلاً :

- استريح يا حذائي في هذا المنزل ، حتى العام القادم ..
وظلَّ القدرُ يغلي باللحم حتى مُنتَصَفِ اللَّيْلِ ، وطوال
هذا الوقتِ ، كان تغلوب يأملُ في أنه سوف
يتمكنُ من طردِ أرنوب ..



وبعد أن يئس من طرده ، نهض تغلوب وأسرته ؛
ليناموا داخل المنزل ، بينما تظاهر أرنوب بالنوم في
مكانه ، وبعد قليل نهض ، واستخرج اللحم من القدر ،
فوزعه على الفقراء والمحتاجين مع رأس الخروف
المشوي والإوزة ، واكتفى هو بأكل الفطائر ..
وبعد أن انتهى من ذلك وضع رداء تغلوب الجلدي
في القدر ، بعد أن مرّقه قطعاً صغيرة .. ثم تمدد
متظاهراً بالنوم ..



وبعد قليل أَيْقَظَ تَعْلُوبُ أَفْرَادَ أُسْرَتِهِ قَائِلًا : ائْهَضُوا
لِتَنَاوُلَ الْعِشَاءَ .. يَبْدُو أَنَّ ضَيْفَنَا الثَّقِيلَ غَارِقٌ فِي النَّوْمِ ..
وَفِي الظَّلَامِ أَسْرَعَتْ زَوْجَتُهُ بِإِزَالِ الْقِدْرِ عَنِ النَّارِ ،
وَأَخَذَتْ تَغْرِفُ رِدَاءَ تَعْلُوبِ الْجِلْدِيِّ ، ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهَا تَغْرِفُ
اللَّحْمَ ، وَعِنْدَمَا بَدَعُوا يَأْكُلُونَ اكْتَشَفُوا أَنَّ اللَّحْمَ قَدْ أَصْبَحَ
جِلْدًا لَا يُمْكِنُ مَضْغُهُ ..
وَهَكَذَا ضَاعَ عَلَيْهِمُ الْعِشَاءُ ، بِسَبَبِ حِيلَةِ أَرْنُوبٍ ..

